تطور الرواية الكويتية

السيد / سلمان الفارسي. يم سي
باحث ، قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها ،
كلية فاروق ، كاليكوت ،كيرالا .

الملخص

لقد كان للأدب القصصي نشأة موغلة في القدم، فالقصة من أقرب فنون القول إلى النفس البشرية، يميل إلى سماعها الصغير والكبير، على اختلاف مستوياتهم وأعمارهم، وتعتبر «الحكاية « حاجة فطرية يعبر بها الإنسان عن طموحاته وآماله وإحباطاته وخيالاته، التي تكبر وتتعمق من خلال القص. وقد ولد وانتشر القص بين الناس بصورة فطرية، لم يفطنوا إليه، ولم يحددوا منشأه، وإنما جاءت وليدة حاجات كل قوم ومجموعة بشرية، فنجد الكهان ودعاة الإصلاح في الأديان المختلفة اتخذوه وسيلة يبثون فيه تعاليمهم وآراءهم الإصلاحية. وارتبطت القصة فيما بعد القرآن الكريم، وما جاء به من أخبار عن الأقوام السابقة وما دار بها، ومر عليها من صروف ، جعلتها مادة مهمة في القرآن الكريم يحكيها ليخرج بها العبر للأقوام التالية .

١ـ الأدب القصصي في الكويت \ المرحلة الشفوية

لقد سادت هذه المرحلة القصة أو السالفة[١] . التي كانت تسرد شفوية بين الناس ، وبالخصوص بعد عودة البحارة والغواصين من رحلات الغوص والتجارة[٢]، وكانت هذه الحكايات تعتمد على الأسلوب العجائبي، الذي يجنح نحو الخيال لما فيه من متعة ومغامرة ، تواكب حياة المجتمع فتسليه وتعوضه عن حياة العوز والحرمان بين البحر وأهواله والصحراء ورهبتها والفقر ومعاناته . كان الأدب الشفوي السلوى للناس والمعلم

١ يطلق أبناء الخليج العربي على الحكايات القصيرة المتناقلة بينهم " سالفة " أي أنها تحكي أحداثا من سالف الزمان

٢ من أمثال قصة " بودرياه " وهو حيوان بحري خرافي تنسب إليه حكايات إغراق السفن في البحر وابتلاع بحارتها

والمرشد في أحايين أخرى، يستقي منها العبر ، وبموازاته التسلية والمغامرة.

فقد كان الناس يتناقلون ذلك النوع الأدبي المعبر عن حياتهم وظروفهم وآمالهم وآلامهم وعاداتهم وتقاليدهم ، التي تبقي الفرد محاطا بسياج من القيم تتعاقبها الأجيال وتتوارثها الأسدر ، وتتناقلها الأمهات إلى أبنائها في حكايات وأمثال وقصص وسير شعبية بطولية، حتى غدت إرثا ثقافيا ، واجتماعيا لأبناء منطقة الخليج طابعه السرد .

وكما كانت هناك القصص الشعبية. التي كانت نتاج المجتمع المحلي الخليجي ، فإن هناك الكثير من القصص دارت في المجتمع وترجع في أصولها إلى قصص « ألف ليلة وليلة « ، وذلك بسبب الطبيعة الجغرافية لمنطقة الخليج العربي، وقيامه بدور الاتصال بين الشرق الأقصى والأقطار العربية وإفريقيا ، لذا أصبح الخليج ملتقى لكثير من الشعوب المهاجرة من بلاد الهند وفارس .

ولو نظرنا إلى المجتمع الكويتي في تلك الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى(نجد أنه كان أميا يجهل القراءة والكتابة.. عدا نسبة ضئيلة جدا. توفرت لها فرص تعلم قراءة القرآن ومبادئ الكتابة والحساب في الكتاتيب..)[٣] مما جعلها تستقي مادتها الحكائية بصورة شفاهية تتناقلها فيما بينها ، وتضفي عليها ما يؤطرها بقالب محلي ، ليسهل تقلبها وتفاعل المستمعين معها ، وتعد الأمية والجهل وغيرهما من الأسباب عوامل مهمة أدت إلى استمرار الحكايات ، والسوالف وسيادتها مدة طويلة .

٢ـ الأدب القصصي في الكويت \ مرحلة المقروء والمطبوع

تعد هذه المرحلة بداية لتحول وتبدل الأوضاع الثقافية والفكرية بإنشاء العديد من المدارس٤ ، التي شكلت نواة في مجتمع تنشر فيه الأمية كغيره من المجتمعات الخليجية والعربية. وتلا إنشاء المدارس إرسال أفراد في بعثات دراسية خارج الكويت، مما منح أبناء الكويت الفرصة للاطلاع على الثقافة العربية ، وقراءة آثارها الأدبية، والاطلاع أيضا على الآداب الغربية في أصولها أو من خلال مدرسين في البلاد العربية من مثل : مصدر والعراق والشام وغيرها . وأثمرت هذه البعثات والاتصال بالخارج، انتشار ثقافة جديدة في المجتمع الكويتي ، هي ثقافة المقروء والمطبوع من خلال أول صحيفة كويتية « الكويت» لصاحبها عبد العزيز الرشيد٥ خرجت إلى النور بها أول قصة قصيرة لصاحبها خالد الفرج

٣ إسماعيل فهد إسماعيل / القصة العربية في الكويت / دار العودة (بيروت) / ط/ (١٩٨٠م)/ ص١٤

٤ أنشئت أول مدرسة في الكويت عام ١٩١١م .١٩١٢م وهي مدرسة المباركية وتلتها الأحمدية عام ١٩٢١م

٥ إبراهيم عبد الله غلوم / القصة القصيرة في الخليج العربي (الكويت والبحرين)ص٤٠

في العام ١٩٢٨م كأول تجربة قصصية مكتوبة تحت عنوان « منيرة»

كانت هذه القصة بمثابة الإضاءة لفن يمكنه أن يقوم في بيئة خصبة، تستقبل الفنون والثقافات بصورة منفتحة، على عكس ما كان علية واقع حال الكويت من ركود ثقافي، ومجتمع متوقف عند حدود ما خلفته له ثقافة العصور الوسطى وبقايا العهد العثماني ، كما أنه ما يزال يعيش تحت وطأة التيارات المحافظة والدعوات السلفية مما يفرض عزلة ثقافية وسياسية تحول دون استمرار التجارب القصصية التي تنفست من خلال الصحف ، ورأت النور وبانقطاع الصحف سنة ١٩٢٩م، توقف اتصال القراء بالقصص ، وانقطع بعدها الإبداع القصصي ما يقارب العشرين عاما، وكانت عودته بعد ذلك من خلال الصحف مرة أخرى.

٣ـ الأدب القصصي في الكويت

هذه المرحلة تشكل منطلقا حقيقيا لنشأة القصة في الكويت ، فبعودة الصحف والمجلات تحت عناوين مختلفة كمجلة « البعثة « التي ظهرت فيها قصة « بين الماء والسماء « لخالد خلف». تعد البدايات الأولى للقصة الكويتية بعد الانقطاع . توالت بعدها القصص بتدفق مستمر رسمت معالم البدايات لهذا الفن القصصي.

لقد ضمت هذه المرحلة العديد من الأسماء منها : فرحان راشد الفرحان ، فاضل خلف ، فهد الدويري ، عبد العزيز محمود ، أحمد العدواني ، يوسف الشايجي ، عبد العزيز حسين ويوسف النصف وغيرهم ، كما كان للأقلام النسائية دور ولو أنها تعد مساهمات قليلة ، ومن هذه الأقلام التي كتبت في هذه الفترة ضياء هاشم البدر وهيفاء هاشم وغنيمة المرزوق .

تميزت قصص هذه المرحلة بالبساطة والمباشرة والسرد الإخباري من أجل إيصال أفكارهم للمجتمع ، وهذه كانت سمات القصة العربية عموما فيما عدا محاولات بعض الرواد المصريين أمثال : محمود تيمور، ونجيب ومحفوظ ، ويوسف إدريس .

ومن أسباب المباشرة والأسلوب السردي الإخباري عدم نضج الأدوات الفنية لدى الأدباء ، كما أن رغبة الكتاب والأدباء في النهوض بالمجتمع وإصلاح والخروج به من الثقافة التقليدية جعلتهم يتنازلون عن أساليب فنية مختلفة مؤثرون السرد الإخباري من أجل إيصال أفكارهم للمجتمع .

أما بالنسبة للموضوعات التي كانت تتضمنها كتابات هذا الرعيل، فإنها كانت تتسم

بتجاهل الذات، والاكتفاء بالتعبير عن الحال الجمعي بعيدا عن الفردية، فالقبيلة والمجتمع هما محور الإبداع.

نماذج من الأدب القصصي في الكويت

قصة زكاة [٦] لفهد الدويري

يتناول الدويري في قصته مسألة الزكاة ، وسبل تصريفها بصورة تعف وتكف أيدي المحتاجين والفقراء والعاجزين عن العمل . فقد عاد بطل القصة بذاكرته إلى ماضيه ، واسترجع حوارا دار بين شابين من أبناء المدارس العليا. يستنكران فعل الاستجداء الذي كان يقوم به هو وغيره من الفقراء ، وكان الشابان يتساءلان : ما الذي يمكن أن يعف هؤلاء الفقراء ؟ سوى أن يفكر أصحاب الزكاة عوضا عن توزيع أموالهم على الفقراء فيكفونهم عن السؤال يوما ولا يكفونهم عاما بجمع زكاتهم والقيام بإنشاء مشغل أو معمل يسهم في تيسير عيشهم من عرق جبينهم طيلة العام.

أعجب (خليفة) بحوار الشابين في حينه، وبقي هذا الحوار راسخا في ذاكرته حتى جاء اليوم الذي صار فيه غنيا من رحلة غوص موفقة، رزق فيها بدرة ثمينة اشتريت منه بأموال طائلة، وأراد صرف زكاته فذهب إلى صاحب الفكرة (الشاب المتعلم) الذي سيعرف كيف يدير زكاته من أجل تطبيق المشروع، إلا أنه فوجئ عندما رأى الشاب يعدل عن رأيه ويفتر حماسه الذي كان عليه فيقول له : في البلد غيري وغيرك.... دع غيرك يبدأ.

فيرد خليفة .... لنكن نحن « الغير» ولنحسبها نعمة من الله أن هيأ لنا القيام بهذا العمل الجليل ، وجعلنا من السابقين . فيرفض الشاب ويرى أن ذلك كان مجردا حديث عابر، فيصاب خليفة بالدهشة، ويكون مآل أمواله فيما لا نفع فيه.

يطرح الكاتب مسألة صرف أموال الزكاة في وجوهها أو استثمارها لصالح الفقراء ومن جهة أخرى سلبية المثقف وهروبه من الإسهام في تخفيف آلام المجتمع . كما يطرح أزمة المثقفين واكتفاءهم باستعراض الأفكار عوضا عن العمل بها، إلا أنه يعرض ذلك بمباشرة واضحة وحوار سطحي وعظي ، يتفق مع الواقع من غير إدراك أن فن القص نسج للواقع بصورة خيالية تضفى الجمال والمتعة على النص. وليس معنى ذلك أنه كان نصا خاليا من الأدبية ، بل فيه من الوصف ما يخدم هدفه كوصفه حال خليفة وعوزه وفقره ليصل من خلاله إلى ما ينشده بالأساس ليلج في الإصلاح الذي هو شغله الشاغل،

٦ نشرت قصة زكاة لفهد الدويري في صحيفة " كاظمة " / أكتوبر ١٩٤٨م. نقلا عن كتاب الحركة الأدبية والفكرية في الكويت / ج١/ ص ٤٣٢

مؤثرا المجتمع على القصة ، لذا اتبع أسلوبا تقريريا مباشرا في معالجة موضوعه ، ويتضح هذا من السرد المباشر ، ومن الحوار الذي دار بين شابين متعلمين . لقد أراده حوارا مع المجتمع كله ، وتبيانا لدور مثقفيه ، ومتعلميه، وذلك ما تبدى في سلبية المثقف الذي عكس من خلاله (ظاهرة أصابت بعض المثقفين باليأس حين ناضلوا في سبيل قضيا عبر عنها أدبهم وكتاباتهم فلم يجدوا لها صدى ...)

قصة « حنان أم» لفاضل خلف

حاول فاضل خلف في هذه القصة إبراز قضية المرأة الخليجية بشكل عام وقضية المرأة الكويتية بشكل خاص، من خلال تجربة تعيشها بطلة القصة (لطيفة) التي تعاني من ظلم وقسوة حماتها ، وإلى جانبه معاناتها من العمل ليلا ونهارا كالخادمة بينما تستمتع حماتها وبناتها بوقتهم ، ثم يستعرض المؤلف حياتها قبل الزواج في بيت أبيها، حيث كانت تنعم بالراحة كما أنها تحظى بالهدايا والملابس، وكانت تخرج لزيارة صديقتها وجاراتها ، أما الآن فهي شقية بائسة، لا يعبأ أحد بمعاناتها ، حتى زوجها تنال منه السخرية والاستهزاء، وهكذا اقتحمها اليأس ، وأصبحت طريدة الحزن والأسى، ولا تجد مؤنسا لها إلا جارتها أم علي . التي كانت ترق لحالها ، وتخفف شيئا من آلامها، وكثيرا ما حاولت أن تساعدها ، ولكن لا جدوى من تلك المساعدة.

تمر الأيام ، ويجيء يوم زواج أخ لطيفة ، فتتهيأ الحماة وبناتها للذهاب إلى الحفلة بينما تؤمر لطيفة بإنهاء شؤون المنزل . توسلت لطيفة إلى حماتها كي تسمح لها بالذهاب، إلا أن محاولتها باءت بالفشل، وهنا تفجرت الأزمة، فثارت بطلة القصة لطيفة في وجه حماتها رافضة جورها وتعسفها ، ثم تركت المنزل ، ذاهبة إلى بيت أبيها ، ووقع بعدها الطلاق.

تخلصت بطلة القصة من حياتها الكئيبة، ويشاء القدر أن يتقدم لها شاب طلبا يدها، ويتم الزواج، وتشعر بطلة القصة بالفرق الشاسع في المعاملة، ورغم السعادة التي تعيشها مع زوجها الحالي إلا أنها سعادة مشوبة بالقلق على فلذة كبدها، فما كان منها إلا أن توجهت في يوم إلى منزل زوجها السابق لترى ابنها، ولكنه فر منها بمجرد رؤيتها، وأغلق الباب في وجهها.

ظلت بطلة القصة برهة مأخوذة من هول الصدمة، فرفعت يدها إلى السماء قائلة: (كلا... كلا... لست الآن أسعد حالا من ذي قبل). بلغت هذه القصة قمة الواقعية، حيث

تم تصوير بؤس المرأة، ومعاناتها بشيء من التحليل والتفصيل، حيث قام المؤلف بعرض الحدث الرئيس ومن ثم بث فيه تفاصيل وجزئيات ثانوية، تبرز الواقع المؤلم. الذي تعيشه المرأة في تلك الفترة.

ولا يخفي الكاتب أفكاره، ونقده لأوضاع المرأة من خلال الأحداث التي جاءت جاذبة للقارئ، إلى جانب عرضه للمرأة الإيجابية الفاعلة، التي تعبر عن معاناتها وآلامها عوضا عن الرضوخ والخنوع المألوف من المرأة في تلك الأيام ، كذلك هو لا ينجر خلف المبالغة والتهويل في عرض إيجابية المرأة، التي عادة ما تكون نهاية القصة، بل ينحاز لما هو واقع حقيقي في كيان المرأة ألا وهو ضعفها تجاه عاطفة الأمومة. وتميزت هذه القصة بعنصر الصدق في عرض الواقع ، والقيام بعرضه دون تكلف وتصنع، إلى جانب تميز لغته بالسهولة من حيث الألفاظ والمعاني، حتى تكون القصة معبرة ومؤثرة في ذهن القارئ.

ب) نظرة عامة إلى الأدب القصصي في الكويت

لا نستطيع أن ننكر أن القصة القصيرة في الكويت، قد مهدت للرواية باعتبار أن القصص القصيرة للكتاب الأوائل معدت لمن جاء من الكتاب، الذين أبدعوا، ولذلك أجدني مدفوعة إلى الحديث عن القصة بصفة عامة حتى نتمكن من إلقاء نظرة على الإبداع السردي، فالفن القصصي في الكويت لم يصل حد النضج، بل حقق خطوات فنية لا بد منها لكل أدب حديث النشأة، إذ لا يمكن له أن يولد ناضجا. وإنما يكتسب النضج الفني بتراكمات ومحاولات وتجارب الكتاب، واحتكاكهم بغيرهم، فتكون أساسا لخلق جديد، وإبداع أكثر وعيا، ففي هذه المرحلة (مرحلة الريادة). جرب الكتاب العديد من الأشكال المألوفة آنذاك. فقد توفرت القصة بأساليب فنية مختلفة، ومتنوعة ، فنجد القصة السردية عند فرحان راشد الفرحان، وفهد الدويري، كما نجد القص بأسلوب الرسائل عند فاضل خلف، ولدى القاص يوسف الشايجي، إلي حضور أساليب السرد بطريقة الاسترجاع، والعودة إلى الماضي نجده عند فهد الدويري، ونجد أسلوب التداعي والخواطر والسرد بضمير المتكلم عند فاضل خلف، كما نجد للرمز حضورا ولو بشيء يسير من خلال الشخصية الرئيسة في قصص أحمد مشاري العدواني. الذي أطلق على بطل قصصه « أبو شلاخ » ومزا لرفض العقل، وتعدي المعقول فيه ، والانطلاق نحو الخيال الذي ينظر إليه من حوله على أنه أبو الكذب: فحديث كله كذب[٧].

ومع نهاية الخمسينيات ١٩٥٩م من القرن الماضي، ومطلع الستينيات شحت التجربة

٧ زينب عيسى صالح الياسي / البناء الفني في الرواية الكويتية المعاصرة / دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ٢٠٠٩م

الإبداعية لغالبية كتاب القصة القصيرة، وتشاغلت العديد من الأقلام بأعمال إدارية جرفتها عن تطوير هذا الفن أو بسبب ما تعرضت له البلاد من مظاهر القلق السياسي والاجتماعي ، أي فترة نهاية الخمسينيات إلى بداية الستينيات، وهي فترة تعد مفترق طرق بالنسبة لدولة تحاول الاستقلال وتأسيس نظم لدولتها الحديثة، وهذا لا يعني انطفاء شعلة هذا النوع الأدبي، بل برز في الساحة الأدبية العديد من الأقلام الجديدة التي واصلت ركب الرواد من مثل: سليمان الشطي وسليمان الخليفي ومحمد الفايز وحسن يعقوب العلي وطارق عبد الله وعبد العزيز السريع وتلاهم في فترة لاحقة إسماعيل فهد إسماعيل ، دخل هؤلاء وغيرهم في معتراك الساحة الأدبية والثقافية بأدوات فنية فيها من الجدة والابتكار، ومن الأساليب والخطوات المبتكرة بحيث مهدت الطريق لفن أدبي آخر هو فن الرواية. من هذه الخطوات أسلوب (الحكاية) في صورة يوميات تربطها شخصيات واحدة، وأحدث متصلة، ومنها أسلوب المذكرات (التي تتعقد فيها الأحداث في فترة من حياة الإنسان مع تعدد علاقاته بمجموعة من الشخصيات)

المصادر والمراجع

١. إسماعيل فهد إسماعيل ، كانت السماء زرقاء، دار المدى للثقافة والنشر (سوريا) ط٣ ، ١٩٩٦م
٢. إسماعيل فهد إسماعيل / القصة العربية في الكويت / دار العودة (بيروت) / ط/ (١٩٨٠م)/ ص١٤
٣. زينب عيسى صالح الياسي ، البناء الفني في الرواية الكويتية المعاصرة ، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ٢٠٠٩م
٤. خالدة سعيد ، الملامح الفكرية للحداثة ، فصول ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة) ١٩٨٤م
٥. محمد إسماعيل زاهر ، أفق (حياة الكلمات ودلالاتها) جريدة الخليج٢، دار الخليج (الشارقة) العدد ١٠٢٧١ / ٢ أغسطس ٢٠٠٨م
٦. منذر عياشي ، اللغة والأشياء ، علامات في النقد ، (النادي الأدبي الثقافي بجدة) ج٢/ ١٩٩١م
٧. ليلى العثمان، المرأة والقطة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت) ١٩٨٥م
٨. وليد الرجيب ، بدرية ، دار الفارابي (بيروت) ١٩٨٩م
٩. إبراهيم عبد الله غلوم / القصة القصيرة في الخليج العربي (الكويت والبحرين)ص٤٠
١٠. طالب الرفاعي، ظل الشمس ، دار شرقيات ، (القاهرة) ط١ ، ١٩٩٨م
١١. قصة زكاة لفهد الدويري في صحيفة " كاظمة " / أكتوبر ١٩٤٨م. نقلا عن كتاب الحركة الأدبية والفكرية في الكويت / ج١/ ص ٤٣٢